Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أما حين مدح أو أراد أن يمدح الملك الغسانى فإنه لم يقل شيئا ، بل لم يخاطبه فى القصيدة قط ، وإنما كأنه يخاطب النعمان بن المنذر معتذرا إليه عن هذا المدح ، بأنه ليس فى الحقيقة مدحاً ، وإنما هو وفاء دين أو نعمة أنعم عليه بها فهو يردها شعراً ، ومن الغريب أنه يبدأ المدح ويختمه بهذا الاعتذار ، فقد بدأ المدح بقوله :

علىَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالده ، ليست بذات عقارب[٣١]

ثم ختمه وختم القصيدة كلها فيما وصل إلينا بقوله :

حبوت بها غسان إذ كنت لاحقا بقومى ، وإذ أعيت علىَّ مذاهبى[٣٢]

فى البيت الذى بدأ به المدح يكاد يعلن اعتذاره ، بأن هذا ليس مدحا لعمرو ، وإنما هو وفاء يوجبه الخلق لدين ليس للملك وحده ، وإنما من قبله لأبيه ، وفى البيت الأخير يكاد أيضا يعلن اعتذاره بأن مدحه لقبيلة غسان ليس حبا فى الإشادة بهم ، وإنما هو وفاء أيضا لحمايتهم إياه حين ضاقت عليه السبل ، وسدت فى وجهه كل مذاهب الأرض ومسالكها ، فلم يجد غيرهم مأوى يأوى إليه ، ويلجأ إلى حماه .

ولو أننا لم نعرف نفسية الشاعر من خلال المطلع لحدث لبس أو غموض فى فهمنا للقصيدة ، أو لكثير من معانيها ، ولحدث خلط أو سوء تقدير فى نقدنا للقصيدة أو لبعض معانيها ، فلولا معرفتنا لنفسية النابغة من خلال المطلع لكان يمكن أن يقال إنه مضطرب الجودة أو المستوى فى شعره ، فهو يرتفع فى الغرض الواحد ويهبط ، فيرتفع فى مدح الملوك إلى مثل قوله فى مدح النعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويهبط فى الغرض نفسه إلى درجة أننا لا نجد فى القصيدة كلها من مدح للملك عمرو إلا قوله :